حياتنا الجديدة

يجب ان تكون مليئة بالثقافة والنشاط

لمرسلة « مي »

مهداة الى المجمع المصري للثقافة العلمية
بمناسبة انعقاد مؤتمره الثالث

تتوارد الاسماء عديدة في خاطري عند ما اتوق الى التفكير في مثل عليا للحياة المليئة النبيلة . ولكني اذكر بوجه خاص يعقوب بوهمه (Bœhme) الفيلسوف الالماني الروحاني الذي عاش في القرن السادس عشر . كانت المهنة التي يتعيش منها وضيعة حقيرة ، إلاّ انه مع ذلك عكف على الدراسة والتفكير فحصل منهما على اكبر قسط يفوز به عالم وكانت حياته النفسية زاخرة واسعة فياضة بتلك العوامل التي تخلق من الفرد العادي شخصاً متفوقاً هو في الواقع من ابهى الأفراد الانسانية

ان قابلية اصطناع الثقافة والانتفاع بها في تكوين افراد ممتازين لا تحصر في حرفة ولا في مرتبة . هي ارث انساني عام . نجدها بادية بين العبيد في شخص ابكتتس العبد الروماني الذي صار بعدئذ من اعظم فلاسفة الرواق ، كما نجدها في زميله الرواقي ، ماركس اوريليوس انطونيوس ، القيصر العظيم سيد روما في القرن الثاني قبل الميلاد ، الذي خاض المعارك ورفع من شأن بلاده وحارب ضد البرابرة المهاجمين امبراطوريته فانتصر . على ان نشوة النصر وأبهة الملك لم تحل دون ثقافته الفكرية ونموه النفسي . فكان هو ايضاً في طليعة فلاسفة الرواق . و «أفكاره» التي سجلها لبني جيله وللآتين بعده تعدُّ انفس صفحة خطها صاحب عرش وتاج

قد يكون المرء من اوسع الناس ثروة ونفوذاً ومن ارغدهم عيشاً ومن اوفرهم خلاناً وهو مع ذلك يعبر الحياة شبحاً ويتفي شبحاً . أما اذا كان ذا ثقافة نيرة وحياة نفسية واسعة فلكل من كلماته مغزى ، وفي كل من اعماله مثل ، ينثر النور حوله في حياته حتى اذا قضى تجمع نوره لتنتسم به وراثة النور بين ظلمات بني الانسان

ومن اظهر الفروق بين الاجيال الغابرة وجيلنا الحاضر ان الثقافة والعلم حتى الطب كانوا

في الماضي محصورين في فئة خاصة من الكبراء والكهان ،لذلك كانوا يحسبون « سحراً » . ولم يكن ليقتبس العلم من الصغار وبني الشعب غير الذين كانت مواهبهم اظهر من ان تتوارى وأقدر من ان تُغلَّ . اما اليوم فالعلم ميسور للجميع ، وانتشار الثقافة وسهولة التعليم من أهم مميزات عصرنا

وللثقافة العصرية ميزة أخرى لمن يريد اصطناعها واستغلالها . فهي ليست نظرية صرفة تسجن صاحبها في « برج من العاج » ، ولا هي عملية صرفة تهبط بصاحبها إلى دركة العمل الآلي والانتاج في غير انتباه . بل هي تتناول النظريات لتوسع بها الفكر وتصقل الملكات وتغني النفس ، ثم تطبق تلك النظريات على الواقع وتحققها في الأعمال اليومية كبيرة وصغيرة فتثبت ان أجل صيغ الحياة وأجملها وأنعمها هي التي يمتزج فيها نبل المثل الأعلى وجدوى العمل المحكم

لا رقي للمجموع إلا بواسطة رقي الأفراد . ولا رقيّ للأفراد إلا إذا تجمعت فيهم شتى العناصر الصالحة التي تنشدها الانسانية من رشاد وتفكير وعمل ونشاط وصلاح واقدام. العمل بدون ثقافة حركة بغير بصيرة ، والثقافة بدون عمل بصيرة مشلولة . فلا بدّ من امتزاج هذه بتلك لتصح النفس مليئة بالحبّ — ذلك الحبّ الذي يرهف الذكاء ، ويولّد الحماسة ، ويذكي النشيط ويقوي ثقة الفرد بنفسه ويفرض عليه العمل الرشيد في سبيل الخير لجماعته

كثيراً ما نسمع ونقرأ كلمات الباهاة بالماضي . ولكن علينا أن نذكر إن ليس للأجيال الحاضرة في ذياك الماضي يداً . ولا نفع لذكرى الماضي إلا إذا كانت حافزة لاستثنافه في الحاضر لاعداد المستقبل . لأن الشعوب لا تعيش على ماضيها . بل الماضي يحيا في نفسه وإن هو كان له صوت فليفرض على الحاضر أن يكون حقيقاً به . وقد استيقظت هذه البلاد باكراً منذ فجر التاريخ فخلقت حضارة اقتبس عنها الغرب ما اقتبس فأفاء إلى حدّ بعيد . وبالشرارة التي تستردها اليوم من الغرب علينا ان نحيي شعلة العبقرية السحيقة لنفهم أوعب معاني الحياة وأجل وجوه الحياة ولنهتدي إلى أحكم وأصلح ما في الحياة من أسباب ووسائل

***

هذه خطرات هي في الواقع تحيات لنا جميعاً في مطلع العام الجديد . وهي كذلك تحية لمجمع الثقافة العلمية بمناسبة انعقاد مؤتمره الثالث . إن أعضاء هذا المجمع الكريم رجال جمعوا في حياتهم بين نبل النظرية وإحكام العمل ، كلٌّ في بابه الخاص وبمواهبه الخاصة . وبمؤتمرهم السنوي إنما هم يخرجون من دائرتهم المحدودة ليذيعوا الفائدة في الجمهور . فتحية حارة لاغراضهم النبيلة ومثلهم العالي ! تحية حارة لهذه النواة الحيوية التي يخلقها مجمعهم مؤدياً فيها أجل مثال من امتزاج النظرية والعمل !

« مي »